جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

دكتوراه / اسلامي

المادة

انتشار الاسلام

عنوان المحاضرة

الاحوال الجغرافية لأقاليم افريقيا جنوب الصحراء

استاذ المادة

أ.د. خالد محمود عبدالله

الاحوال الجغرافية لأقاليم افريقيا جنوب الصحراء.

تعني هذه الدراسة بتاريخ البلاد واسعة من قارة افريقيا ، تمتد من سواحل بحر الظلمات غربا (المحيط الاطلسي) إلى السواحل الجنوبية لبحر القُلزم (البحر الأحمر) واعالي النيل شرقا ، وتنحصر بين الصحراء الافريقية الكبرى شمالا وبين الغابات الاستوائية المطيرة جنوبا .

لقد عرف الرحالة والجغرافيون العرب هذا الاقاليم في زمن مبكر واليهم يعود الفضل في كشف كثير من معالمه، وقد اطلق الكتاب العرب على هذه البلاد اسم **بلاد السودان**، واحتوت كتبهم على معلومات قيمة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية فيها، كما اسهبوا في وصف مدنها وممالكها والطرق التي تربطها بالعالم الخارجي، حتى يمكن القول ان ما جاء به الكتاب العرب من معلومات عن افريقيا جنوب الصحراء أو بلاد السودان يعد الاساس في معرفتنا التاريخية عن هذه البلاد .

أصل تسمية أفريقيا

تعددت الآراء والافتراضات حول أصل تسمية القارة الأفريقية بهذا الاسم فأسم أفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها من قبل، بل كان يقتصر في البداية على بلدة منها في الشمال، أما بقية أجزائها فكانت لها أسماؤها مثل برقة وطرابلس وبلاد الزنج، وبلاد الحبشة وبلاد السودان [١] .

والسودان هكذا على إطلاقه يحتوي تحته كل بلاد السودان، أي أصحاب البشرة السوداء، في الحزام الممتد في قلب القارة من الغرب إلى الشرق، ثم تحدد اسم السودان على تلك البلاد شبه الصحراوية والتي تعرف الآن بغرب أفريقية[٢].

وبناء على هذا أطلقت أسماء أخرى على أصحاب البشرة السوداء في غير هذا الجزء، مثل اسم النوبة على سكان جنوبي مصر، واسم الحبشة على إثيوبيا، واسم الزنج على سكان الساحل

---

(١) سعيد: ابراهيم احمد، افريقيا جنوب الصحراء (دار الزاوية، بلا: ١٩٩٨م): ٩.

(٢) عبد الظاهر: حسن عيسى، الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة: ١٩٩١م) :٤٤ .

الشرقي، يقول الاصطخري: ((وبلدان السودان بلدان عريضة .. وليسوا هم بنوبة ولا يزنج ولا بحيشة.. ولا من البجة إلا أنهم جنس على حدة أشد سواداً من الجميع وأصفى))[١] .

ويذكر ابن خلدون [٢]: ((والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج، والنوبة ويليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلى خانة)) .

والحسن الوزان عند حديثه عن منشأ اسم إفريقيا فيقول: تدعى أفريقيا بالعربية إفريقية من كلمة فرق، وهناك رأيان حول أصل التسمية :

أ- **الأول يرتكز على أن هذا الجزء من العالم ينفصل عن أوروبا وعن جزء من آسيا بواسطة البحر الشامي (البحر المتوسط) .**

ب- **أما القول الثاني عن أصل التسمية فهو أن هذا الاسم مشتق من أفريقوس ملك بلاد العرب السعيدة (اليمن) على أنه أول من جاء إليها وسكنها، فبعد أن هزم هذا الملك في معركة مع آشور وطرد من مملكته عجز عن العودة إليها** [٣].

مناخ القارة

لكي تكتمل الدراسة الطبيعية لأي منطقة لابد من معرفة ظروفها المناخية وخصائص المناخ فيها، ذلك لأن المناخ يؤثر على حالات الهطل وشدتها وبالنظام المائي وغزارة الأنهار وديمومة جريانها، ويؤثر بشكل مباشر على خصائص التربة وأنواعها والنمو النباتي والحيواني وتنوعها، وفي النهاية يحدد إلى درجة كبيرة أنماط النشاط البشري، وفعالياته الاقتصادية وأنشطته الحياتية والاجتماعية .

---

(١) الاصطخري: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت: ٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، (دار صادر: بيروت ، ٢٠٠٤م) : ٤٠ .

(٢) ابن خلدون: ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت: ١٩٧٩م) : ٥/٢٣٤ .

(٣) الوزان: محمد بن الحسن: وصف افريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، (جامعة محمد بن سعود الاسلامية، الرياض: ١٩٧٩م) : ٣٥ .

ويتميز مناخ القارة بالبساطة إذا ما قورن بمناخ بعض القارات الأخرى، فالملاحظ انه كلما تقدمنا شمالاً تقل الامطار تدريجياً ويقل معها الغطاء النباتي، لقربها من الصحراء، كما ان الامطار تتناقص تدريجياً بإتجاه انحدار الاراض من الغرب الى الشرق ايضاً حيث يشتد سقوط الامطار على المناطق الغربية والساحلية بينما تقل كثافة الامطار في السودان الشرقي وخاصة في البلاد الجنوبية الشرقية من اقليم بلاد السودان [١] .

اما مصادر المياه فإن الانهار الكبيرة وروافدها تشكل مورداً مائياً مهماً في افريقيا جنوب الصحراء اضافة الى الامطار فهنالك عدد من الانهار تخترق بلاد السودان منها نهر النيجر ونهر النيل ونهر الكونغو، حيث تعد من الانهار الكبرى كما انه هناك الانهار الاخرى مثل نهر السنغال ونهر غمبيا ونهر الزامبيزي .

السكان والسلالات البشرية

عند دراسة السلالات البشرية والسكان فالذي يهمنا هم سكان البلاد الواقعة جنوب الصحراء لأنها موطن الدراسة، وهذه البلاد عرفت ببلاد السودان عند المصنفين العرب الذين سبقوا غيرهم في معرفة أقاليم هذه القارة [٢] .

وكان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام الذين يقطنون جنوبي الصحراء الكبرى، إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ أحياناً على كل السود الأفريقيين[٣] .

وقد اقتصر مفهوم السودان على بلاد السودان الأوسط في القرن الثالث الهجري [٤].

---

(١) جمال الدين: الداناصوري، بحوث في جغرافية العالم العربي في افريقيا، (القاهرة: ١٩٦٨م) : ٣٤٩ .

(٢) الطيف : علي حامد خليفة، المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط، وأثرها على الحياة الاجتماعية، (منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس: ٢٠٠٣م) : ٢٢.

(٣) الدان: الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي الإفريقيا فيها وراء الصحراء، (الدار المصرية :القاهرة، ١٩٨٩م) : ١٧.

(٤) اليعقوبي: أحمد أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، (طبعة النجف ، بغداد: ١٩٣٩م) : ١/ ٢٥.

وفي القرن الرابع الهجري يذكر المسعودي أن بلاد السودان هي البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الهندي إلى بحر الظلمات (المحيط الاطلسي)[١]

أما المقدسي فقد قال عنها : ((وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة، وهم أجناس كثيرة)) [٢] .

ثم أصبح مفهوم بلاد السودان يشمل كل البلاد الواقعة جنوب الصحراء، وهذا ما نجده عند القلقشندي، حيث حدد بلاد السودان من الغرب بالبحر المحيط ومن الشرق ببحر القُلزم (البحر الاحمر)، ويفصل ذلك بدقة في ست ممالك، ثم يحدد بلاد السودان بقوله: إنها تحد بلاد التكرور من الشرق، ثم يكون حدها من الشمال بلاد إفريقية .

ويقول عنها ابن خلدون والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة [٣] .

فبلاد السودان إذا معناها بلاد السود، ولذلك فقد ارتبط اسم السودان بالمناطق التي يقطنها السود، والمتاخمة لمصر وبلدان المغرب من ناحية الجنوب والتي بالإمكان الوصول إليها، وشهدت بالفعل وصول التيارات الأولى منذ وقت مبكر[٤].

وأخيراً نخلص إلى أن العرب في العصور الوسطى هم أول من أطلق مصطلح بلاد السودان على الشعوب التي سكنت جنوب الصحراء الكبرى والتي هي مجال دراستنا الان، ويمكن تحديدها جغرافياً بالبلاد الواسعة التي تمتد بين الصحراء الأفريقية الكبرى في الشمال والغابات الاستوائية في الجنوب، وشرقاً إلى بحر القُلزم (البحر الأحمر) وغرباً بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، وأن أصل تسمية بلاد السودان مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك البلاد .

---

(١) المسعودي: علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية ، بيروت: ١٩٨٨م) : ٢/٢٤٠

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ٣٣١

(٣) ابن خلدون: العبر: ٥/٢٣٤ .

(٤) محمد: ظاهر جاسم، افريقيا ما وراء الصحراء (دراسة تاريخية)، (المكتبة المصرية: القاهرة، ٢٠٠٣م) : ٣٤ .